

الكبرى ، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات ، والمشقة في التفاهم والتعامل ، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه .. الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة ! الشأن شأن جبل ، فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا الذهاب إلى الجبل . الشأن شأن فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هذا الفرد من الناس .. إنها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة ! وإن الحياة ماكانت تمضى في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات .

فأما الملائكة فلا حاجة لهم بهذه الخاصية ، لأنها لا ضرورة لها في وظيفتهم ، ومن ثم لم توهب لهم ، فلما علم الله آدم هذا السر ، وعرض عليهم ماعرض لم يعرفوا الأسماء ، لم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للأشياء والشخص .. وجهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم ، والاعتراف بعجزهم ، والإقرار بحدود علمهم ، وهو ماعلمهم .. وعرف آدم .. ثم كان هذا التعقيب الذي يردهم إلى إدراك حكمة العليم الحكيم : ﴿ قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ .. ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ... ﴾ ..

إنه التكريم في أعلى صورته ، لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، ولكنه وهب من الأسرار مايرفعه على الملائكة ، لقد وهب سر المعرفة ، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق .. إن ازدواج طبيعته ، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه ، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة .. إن هذا كله بعض أسرار تكريمه .

ولقد سجد الملائكة امتثالاً للأمر العلوى الجليل .. ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ ..

وهنا تنبئ خليقة الشر مجسمة : عصيان الجليل سبحانه ! والاستكبار عن معرفة الفضل لأهله ، والعزة بالإثم ، والاستغلاق عن الفهم .

ويوحى السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ، إنما كان معهم ، فلو كان منهم ماعصى ، وصفتهم الأولى أنهم ﴿ لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ ..